

(٦٦)

باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

قال المصنف رحمه الله تعالى: (باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

عن ابن مسعود، قال: جاء حبرٌ من الأحرار إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع. فيقول: أنا الملك فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذهُ؛ تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧] الآية. متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن، فيقول: أنا الملك، أنا الله». وفي رواية للبخاري: «يجعل السموات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع». أخرجه (١).

لئن: قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]. أي من الأحاديث والآثار في معنى هذه الآية الكريمة.

قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى: يقول تعالى: ما قدر المشركون الله حق قدره حتى عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته. قال مجاهد: نزلت في قريش.

وقال السدي: ما عظموه حق عظمتهم. وقال محمد بن كعب: لو قدروه حق قدره ما كذبوه.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم

(١) أخرجه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١]، حديث (٤٨١١)، ومسلم، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، حديث (٢٧٨٦).

فمن آمن أن الله على كل شيء قدير، فقد قدر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره .

وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية، الطريق فيها وفي أمثالها من مذهب السلف، هو إمرارها كما جاءت من غير تكيف ولا تحريف .

- وذكر حديث ابن مسعود كما ذكره المصنف رحمه الله في هذا الباب قال: ورواه البخاري في غير موضع من صحيحه . والإمام أحمد ومسلم والترمذي والنسائي كلهم من حديث سليمان بن مهران وهو الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن ابن مسعود بنحوه .

قال الإمام أحمد: حدثنا معاوية، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال: يا أبا القاسم أبلغك أن الله تعالى يجعل الخلائق على إصبع، والسموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع . فيقول: «أنا الملك» . فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر . قال: وأنزل الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] الآية . وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي من طرق عن الأعمش به ^(١) .

وقال الإمام أحمد: حدثنا الحسين بن حسن الأشقر، حدثنا أبو كدينة عن عطاء، عن أبي الضحى عن ابن عباس قال: مر يهودي برسول الله ﷺ وهو جالس، فقال: كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله السموات على ذه - وأشار بالسبابة - والأرض على ذه، والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه؟ كل ذلك يشير بأصابعه، فأنزل الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١] ^(٢) وكذا رواه الترمذي في التفسير بسنده عن أبي الضحى مسلم بن صبيح به . وقال: حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

ثم قال البخاري: حدثنا سعيد بن عفير حدثنا الليث حدثني عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه، فيقول: أنا

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٧٨/١)، حديث (٣٥٩٠)، والنسائي في الكبرى (٤/٤١٣)، حديث (٧٧٣٦)، وهو صحيح، وانظر الحديث السابق .

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الزمر، حديث (٣٢٤٠)، وأحمد في مسنده (٢٥١/١)، حديث (٢٢٦٧) من طريق أبي كدينة عن عطاء به .

الملك أين ملوك الأرض؟» تفرد به من هذا الوجه، ورواه مسلم من وجه آخر^(١).

وقال البخاري في موضع آخر: حدثنا مقدم بن محمد حدثنا عمى القاسم بن يحيى عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى يقبض يوم القيامة الأرضين على إصبع وتكون السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك» تفرد به أيضًا من هذا الوجه. ورواه مسلم من وجه آخر^(٢).

وقد رواه الإمام أحمد من طريق آخر بلفظ أبسط من هذا السياق وأطول فقال: حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة، أنبأنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده يحركها، يقبل بها ويدبر: «يمجد الرب تعالى نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم»، فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا: ليخون به^(٣) انتهى.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (ولمسلم، عن ابن عمر مرفوعًا: «يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»^(٤). وزوي عن ابن عباس، قال: ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم.

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، قال ابن زيد: حدثني أبي، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما السماوات السبع في الكرسي، إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس»^(٥).

(١) أخرجه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، حديث (٤٨١٢)، وأخرجه مسلم، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، حديث (٢٧٨٧) من طريق ابن المسيب عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، حديث (٧٤١٢)، وأخرجه مسلم، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، حديث (٢٧٨٨) من طريق سالم عن ابن عمر.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٧٢/٢)، حديث (٥٤١٤)، والنسائي في الكبرى (٤/٤٠٢)، حديث (٧٦٩٥).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، حديث (٢٧٨٨).

(٥) الترس: آلة يتوقى بها في الحرب.

قال: وقال أبو ذر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض»^(١).

وعن ابن مسعود، قال: بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء. والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. أخرجه ابن مهدي، عن حماد بن سلمة عن عاصم، عن ذر، عن عبد الله. ورواه بنحوه المسعودي، عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله.

قاله الحافظ الذهبي، قال: وله طرق.

وعن العباس بن عبد المطلب، قال: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون كم بين السماء والأرض؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر. بين أسفله وأعله كما بين السماء والأرض، والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم»^(٢). أخرجه أبو داود وغيره.

ثالث: قوله: ولمسلم عن ابن عمر - الحديث كذا في رواية مسلم. قال الحميدي وهي أتم، وهي عند مسلم من حديث سالم عن أبيه.

وأخرجه البخاري من حديث عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السماء بيمينه»^(٣) وأخرجه مسلم من حديث عبيد الله بن مقسم.

قلت: وهذه الأحاديث وما في معناها تدل على عظمة الله وعظيم قدرته وعظم

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/٣)، وهو صحيح، وانظر تخريج الطحاوي للألباني ص (٣١٢).
 (٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٠٦/١)، حديث (١٧٧٠)، بهذا اللفظ وفي إسناده يحيى بن العلاء. قال أحمد: كذا يضع الحديث، وقال يحيى: ليس بثقة، وقال: ابن عدي: أحاديثه موضوعات. وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به، وانظر العلل المنتهية (١/٢٣-٢٤)، وأبو داود، كتاب: السنة، باب: في الجهمية، حديث (٤٧٢٣)، والترمذي، حديث (٣٣٢٠)، وابن ماجه، حديث (١٩٣) من طريق سماك عن ابن عميرة، عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب مرفوعاً بلفظ: «... قال: كم ترون بينكم وبين السماء؟ قالوا: لا ندري. قال: فإن بينكم وبينها إما واحداً أو اثنين أو ثلاثاً وسبعين سنة...». الحديث. وعبد الله بن عميرة مجهول، وقال البخاري: لا يعلم له سماعاً من الأحنف. وانظر العلل المنتهية (١/٢٣-٢٥)، الضعيفة (١٢٤٧).
 (٣) تقدم تخريجه قريباً في هذا الباب.

مخلوقاته . وقد تعرف سبحانه وتعالى إلى عباده بصفاته وعجائب مخلوقاته .

وكلها تعرف وتدل على كماله، وأنه هو المعبود وحده، لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وتدل على إثبات الصفات له على ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، وهذا هو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وعليه سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم بإحسان، واقتضى أثرهم على الإسلام والإيمان .

وتأمل ما في هذه الأحاديث الصحيحة من تعظيم النبي ﷺ ربه بذكر صفات كماله على ما يليق بعظمته وجلاله وتصديقه اليهود فيما أخبروا به عن الله من الصفات التي تدل على عظمته .

وتأمل ما فيها من إثبات علو الله تعالى على عرشه، ولم يقل النبي ﷺ في شيء منها: إن ظاهرها غير مراد، وإنها تدل على تشبيه صفات الله بصفات خلقه، فلو كان هذا حقاً بلغه أمينه أتمه، فإن الله أكمل به الدين وأتم له النعمة فبلغ البلاغ المبين . صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين .

وتلقى الصحابة رضي الله عنهم عن نبيهم ﷺ ما وصف به ربه من صفات كماله ونعوت جلاله، فآمنوا به وآمنوا بكتاب الله وما تضمنه من صفات ربهم جل وعلا، كما قال تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] .

وكذلك التابعون لهم بإحسان وتابعوهم، والأئمة من المحدثين والفقهاء: كلهم وصف الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسول الله ﷺ ولم يجحدوا شيئاً من الصفات، ولا قال أحد منهم: إن ظاهرها غير مراد ولا إنه يلزم من إثباتها التشبيه، بل أنكروا على من قال ذلك غاية الإنكار، وصدفوا في رد هذه الشبهات المصنفات الكبار المعروفة الموجودة بأيدي أهل السنة والجماعة .

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى: وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وستة رسول الله ﷺ، وكلام الصحابة والتابعين، وكلام سائر الأئمة مملوءة كلها بما هو نص أو ظاهر: أن الله تعالى فوق كل شيء، وأنه فوق العرش فوق السموات مستوي على عرشه، مثل قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] .

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْنَا﴾ [النساء: ١٥٨] وقوله تعالى: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ ﴿١٦﴾ تَنْزِيلُ الْمَلَكِ وَالرُّوحِ إِلَيْنَا﴾

وقوله تعالى: ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥٠].

وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ

سَمَوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ

يُعْشَىٰ أَيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حِينًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ

الْمَلَكِينَ﴾ [الاعراف: ٥٤].

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا

مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣] فذكر التوحيدين

في هذه الآية .

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢].

وقوله تعالى: ﴿تَزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَىٰ﴾ [الرحمن: ٤-٥].

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعِزِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا

﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسْتَلِ بِهِ

خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨-٥٩].

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ

مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي

يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٤-٥].

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ

وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]

فذكر عموم علمه، وعموم قدرته، وعموم إحاطته، وعموم رؤيته .

وقوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ إِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [آمَ آتَيْنَتْ مَن فِي السَّمَاءِ

أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمَلُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ [الملك: ١٦-١٧].

وقوله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وقوله: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَيْهَاتُ أَبْنِ لِي صَرْعًا لَعَلِّي أَبْتَلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ [سَبَبِ السَّمَوَاتِ

فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كُذِّبًا﴾ [غانم: ٣٦-٣٧] . انتهى كلامه رحمه الله .

قلت : وقد ذكر الأئمة رحمهم الله تعالى فيما صنفوه في الرد على نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ونحوهم أقوال الصحابة والتابعين .

فمن ذلك : ما رواه الحافظ الذهبي في كتاب العلو وغيره بالأسانيد الصحيحة عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت في قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] قالت : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإقرار به إيمان ، والجحود به كفر رواه ابن المنذر واللالكائي وغيرهما بأسانيد صحاح .

قال : وثبت عن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى أنه قال : لما سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن : كيف الاستواء؟ قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ومن الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التصديق .

وقال ابن وهب : كنا عند مالك فدخل رجل فقال : يا أبا عبد الله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فأطرق مالك رحمه الله وأخذته الرخصاء^(١) وقال : الرحمن على العرش استوى ، كما وصف نفسه ولا يقال : كيف؟ وكيف عنه مرفوع ، وأنت صاحب بدعة ، أخرجوه . رواه البيهقي بإسناد صحيح عن ابن وهب .

ورواه عن يحيى بن يحيى أيضًا ، ولفظه ، قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة .

قال الذهبي : فانظر إليهم كيف أثبتوا الاستواء لله ، وأخبروا أنه معلوم لا يحتاج لفظه إلى تفسير ، ونفوا عنه الكيفية .

قال البخاري في «صحيحه» : قال مجاهد : ﴿اسْتَوَى﴾ علا على العرش .

وقال إسحاق بن راهويه^(٢) : سمعت غير واحد من المفسرين يقول : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] أي : ارتفع .

وقال محمد بن جرير الطبري في قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] أي : علا وارتفع .

(١) الرُحْضَاءُ : عرق يفسل الجلد لكثرتة ، وكثيرًا ما يستعمل في عرق الحمى والمرض . النهاية (٢/٢٠٨) .

(٢) هو : إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الخنظلي ، أبو يعقوب ، المعروف بابن راهويه : أحد أركان المسلمين ، وعلم من أعلام الدين ، كان عالمًا ومحدثًا ومفسرًا ، وكانت فضائله أكثر من أن تحصى ، روى عن سفيان بن عيينة ووكيع ، وعن جمع كثير من الأئمة ، روى عنه البخاري ، ومسلم والترمذي . له تصانيف منها : المسند . استوطن نيسابور وتوفي بها سنة (٢٣٨هـ) . انظر : سير أعلام النبلاء (١١/٣٥٨) .

وشواهدة في أقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم، فمن ذلك قول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداد ملائكة الإله مسومينا^(١)

وروى الدارمي والحاكم والبيهقي بأصح إسناد، إلى علي بن الحسين بن شقيق، قال: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: نعرف ربنا بأنه فوق سبع سماواته على العرش استوى، بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية.

قال الدارمي: حدثنا الحسن بن الصباح البزار حدثنا علي بن الحسين بن شقيق عن ابن المبارك: قيل له: كيف نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق السماء السابعة على العرش، بائن من خلقه.

وقد تقدم قول الأوزاعي^(٢): كنا - والتابعون متوافرون - نقول: إن الله تعالى ذكره بائن من خلقه، ونؤمن بما وردت به السنة.

وقال أبو عمر الطلمنكي^(٣) في كتاب الأصول: أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله استوى على عرشه بذاته.

وقال في هذا الكتاب أيضًا: أجمع أهل السنة على أن الله تعالى استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز، ثم ساق بسنده عن مالك قوله: الله في السماء وعلمه في كل مكان.

ثم قال في هذا الكتاب: أجمع المسلمون من أهل السنة أن معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ

(١) أي: مُعَلِّمِينَ. فالسومة والسمة: العلامة. انظر النهاية (٢/٤٢٥).

(٢) هو: عبد الرحمن بن عمرو بن محمد، أبو عمرو الأوزاعي الدمشقي من قبيلة الأوزاع. إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، ولد بيبليك سنة (٨٨٨هـ) ونشأ بالبقيع. صاحب مذهب في الفقه كان منتشرًا في الشام والمغرب والأندلس ثم انقرض. وذلك بعد القرن الرابع الهجري. وكانت الفتيا تدور بالأندلس على رأيه إلى زمن الحكم بن هشام. عرض عليه القضاء فأبى. له كتاب: السنن في الفقه، المسائل في الفقه. تحول إلى بيروت فسكنها مرابطًا إلى أن توفي بها سنة (١٥٧هـ).

(٣) هو: أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي، الطلمنكي محدث، مقرئ، نحوي، لغوي، مفسر، فقيه، مؤرخ، سكن قرطبة. من مصنفاة: الدليل إلى معرفة الجليل. توفي بطلمنكة سنة (٤٢٩هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/٥٦٦).

مَا كُنْتُمْ ﴿[الحديد:٤] ونحو ذلك من القرآن: أن ذلك علمه، وأن الله فوق السماوات بذاته، مستوٍ على عرشه كيف شاء. وهذا لفظه في كتابه.

وهذا كثير في كلام الصحابة والتابعين والأئمة، أثبتوا ما أثبتته الله في كتابه وعلى لسان رسوله على الحقيقة على ما يليق بجلال الله وعظمته، ونفوا عنه مشابهة المخلوقين، ولم يمثلوا ولم يكيفوا، كما ذكرنا ذلك عنهم في هذا الباب.

وقال الحافظ الذهبي: وأول وقت سمعت مقالة من أنكر أن الله فوق عرشه: هو الجعد بن درهم^(١). وكذلك أنكر جميع الصفات. فقتله خالد بن عبد الله القسري وقصته مشهورة. فأخذ هذه المقالة عنه الجهم بن صفوان إمام الجهمية، فأظهرها واحتج لها بالشبهات، وكان ذلك في آخر عصر التابعين فأنكر مقالته أئمة ذلك العصر مثل: الأوزاعي، وأبي حنيفة، ومالك، والليث بن سعد، والثوري، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وابن المبارك ومن بعدهم من أئمة الهدى.

فقال الأوزاعي إمام أهل الشام على رأس الخمسين ومائة عند ظهور هذه المقالة: ما أخبرنا عبد الواسع الأبهري بسنده إلى أبي بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني محمد بن علي الجوهرى - ببغداد - حدثنا إبراهيم بن الهيثم، حدثنا محمد بن كثير المصيصي سمعت الأوزاعي يقول: كنا - والتابعون متوافرون - نقول: إن الله فوق عرشه. ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته. أخرجه البيهقي في الصفات ورواته أئمة ثقات. وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: لله أسماء وصفات لا يسع أحدًا ردها. ومن خالف بعد ثبوت الحجّة عليه كفر، وأما قبل قيام الحجّة فإنه يعذر بالجهل. ونثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه، كما نفى عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَهُوَ السَّيِّعُ الْبَصِيرُ ﴿[السورى: ١١] انتهى من «فتح الباري».

قوله: (عن العباس بن عبد المطلب) ساقه المصنف رحمه الله مختصرًا، والذي في سنن أبي داود: عن العباس بن عبد المطلب قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم

(١) هو: الجعد بن درهم مؤدب مروان الحمار، وهو أول من ابتدع أن الله ما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولا كلم موسى. قال المدائني: كان زنديقًا. وقال له وهب: «إني لأظنك من الهالكين، لو لم يجبرنا الله أن له يدًا، وأن له عينًا ما قلنا ذلك. ثم لم يلبث أن صلب». وقال الذهبي: «الجعد بن درهم عداؤه في التابعين، مبتدع ضال، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسى تكليمًا، فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر». انظر: سير أعلام النبلاء (٥/٤٣٣)، ميزان الاعتدال ت (١٤٨٢).

رسول الله ﷺ، فمرت بهم سحابة فنظر إليها فقال: «ما تسمون هذه؟» قالوا: السحاب قال: «والمزن»، قالوا: والمزن. قال: «والعنان»، قالوا: والعنان - قال أبو داود: لم أتقن العنان جيداً - قال: «هل تدرون ما بُعد ما بين السموات والأرض؟» قالوا: لا ندري قال: «إن بُعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء التي فوقها كذلك، - حتى عد سبع سموات-، ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعله مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال، بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء. ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعله كما بين سماء إلى سماء، ثم الله تعالى فوق ذلك»^(١) وأخرجه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي: حسن غريب.

وقال الحافظ الذهبي: رواه أبو داود بإسناد حسن وروى الترمذي نحوه من حديث أبي هريرة وفيه: «بُعد ما بين سماء إلى سماء خمسمائة عام» ولا منافاة بينهما. لأن تقدير ذلك بخمسمائة عام هو على سير القافلة مثلاً، ونيف وسبعون سنة على سير البريد^(٢)؛ لأنه يصح أن يقال: بيننا وبين مصر عشرون يوماً باعتبار سير العادة، وثلاثة أيام باعتبار سير البريد. وروى شريك بعض هذا الحديث عن سماك فوقه. هذا آخر كلامه.

قلت: فيه التصريح بأن الله فوق عرشه كما تقدم في الآيات المحكمات، والأحاديث الصحيحة وفي كلام السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم.

وهذا الحديث له شواهد في الصحيحين وغيرهما، ولا عبرة بقول من ضعفه لكثرة شواهد التي يستحيل دفعها وصرفها عن ظواهرها. وهذا الحديث كأمثاله يدل على عظمة الله وكماله وعظيم مخلوقاته، وأنه المتصف بصفات الكمال التي وصف بها نفسه في كتابه ووصفه بها رسول الله ﷺ. وعلى كمال قدرته وأنه هو المعبود وحده لا شريك له دون كل ما سواه.

وبالله التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تم كتاب (فتح المجيد) بعون الله الحميد.

(١) تقدم تخريجه قريباً في هذا الباب وهو ضعيف.

(٢) البريد: كلمة فارسية يراد بها في الأصل البغل. وأصلها بُرَيْدُه دُم أي: محذوف الذنب؛ لأن بغال البريد كانت الأذنان كالعلامة لها، فأعربت. انظر: النهاية (١/١١٥).